المقولات الغربية في البحث الدّلالي القرآني (دراسة نقدية)

أ.م.د.أحمد رسن صحن

كلية الآداب / جامعة البصرة

الملخص:

نقد الباحث خمس مقولات غربية في علم الدلالة جعلها بعض الباحثين قاعدة يتأسّس عليها فهم النص القرآني . وهي :

1- الكلمة خالية من المعنى خارج السياق. فلا يمكن قبولها لمخالفتها الصريحة للوضع الأول للغة . و إنّ الكلام لا يمكن أنْ يتألف إذا كانت الألفاظ خالية من المعنى خارج السياق. فلا يستطيع العقل وضعها في تركيب مفيد حين تكون الكلمة فارغة من المعنى .

2- المعنى لا ينكشف إلا في السياق. وقد ثبت بطلانها ، بانكشاف المعنى خارج السياق وبعدم انكشافه في بعض السياقات ؛ لأنّ السياق نفسه غامض .

3- السياق يستبعد المعاني التاريخية للكلمة. وتمّ نقدها بأنّ المعنى يبقى متداولاً أو ينتقل إلى دلالة جديدة مع بقاء ملامح المعنى الأول لوجود علاقات دلالية بين المعنى الجديد والقديم. والإيمان بهذه القاعدة الغربية يُنتج فهماً نسبياً للنص القرآني يتقاطع مع الحقائق القرآنية الثابتة .

4- السياق يحدّد معنى واحداً للكلمة. وردّها الباحث بدليل وجود سياقات نصية تنفتح فيها الدلالة على أكثر من معنى لغزارة الدلالة وعمق المعنى .

5- فهم النص القرآني من بنيته اللغوية فقط . فلا تكون قاعدة ثابتة لفهم القرآن الكريم ؛ لأنّها تناقض العقل وطريقة حصوله على المعنى . فالعقل يأخذه بعد أنْ يرتبط بالأشياء الخارجية عن طريق الحواس ، فيضع للمعنى الذي حصل عليه من إدراك الخارج لفظاً ، فالألفاظ تحيل على المعاني والمعاني تحيل على الأشياء الخارجية . فلا نفهم الألفاظ عندما نقطع علاقتها بسياقها الخارجي . و البنية اللغوية للقرآن تنقض مرادهم ؛ لأنّها بنية مرتبطة بمبدعها وبسياقها الخارجي . وحصر الفهم على البنية اللغوية فقط يجعل القراءة لغوية . والنتائج تكون محدودة بحدود اللغة .

المقدمة

هذا البحث ينقد مظاهر الفكر الدلالي الغربي من فرضيات وقواعد مؤثّرة في الدّراسات الدّلالية القرآنية عند الباحثين العرب عندما تُوظف في فهم الدّلالة القرآنية وتُتّخذ أساساً لذلك ، وتُعدّ مسلماتٍ صادقةً في البحث الدّلالي القرآني. وهذا الأمر يدخل في باب التقليد والتبعية للآخرين ؛ لتسليم بعض الباحثين بها جملةً وتفصيلاً من غير نقد أو فحص عقلي. فيكون هذا الفكر المستعار مانعاً من موانع المعرفة الموضوعية ، ثمّ يؤثّر في مكونات البحث الدلالي كلّها ، فتكون النتائج غير صحيحة ؛ لأنّ المقدّمات خاطئة. لذلك جاء هذا البحث لينقد هذا الفكر نقداً عقلياً ، ويُبيّن الخلل في بعض مقولاته التي تداولها الباحثون في الدرس القرآني ، فإذا اصطدمت مع القواعد العقلية أو الحقائق القرآنية تعدّ باطلة. ولا تُقبل في البحث الدّلالي القرآني – لقداسته – والمنهج الذي يسلكه الباحث هو المنهج العقلي الصرف المعزّز بالمعطى القرآني .

وقد اختار الباحث القضايا الدلالية الأكثر رواجاً في الدراسات القرآنية الحديثة ، ووضعها في مقولات منفصلة بعضها عن بعض ؛ لتحليلها وبيان القصد فيها ، ثم محاولة إجراء نقد موضوعي عليها عندما تُتخذ آليةً في الدرس الدلالي القرآني ، وهذا النقد يتكوّن من معطيات عقلية ومعطيات قرآنية لا ترضخ لهذه المقولات إذ تقف بحزم في وجهها ، فإذا وجد الباحث أيّ تدافع بينهما جعله دليلاً للرفض . ولم تسمح طبيعة المقولات بأنْ توضع في مباحث خاصة بها ؛ لعدم وجود سمات معنوية أو أسس دلالية تساعد على منهج التقسيم للمادة العلمية على مباحث . وقد استعان الباحث بأبرز المصنفات في المعجم العربي وفي كتب التفسير وفي كتب علم الدلالة وفي الدراسات القرآنية في البحث الدلالي في التفسير .

المقولات الغربية

أخذ الباحث من المقولات الدلالية في علم الدلالة الغربي ما هو متداول عند الدارسين في البحث الدلالي في كتب التفسير التي انطبق عليها عنوان بحثه ، ووجد فيها ضعفاً كبيراً غفل عنه أولئك المتأثرون به من غير مراعاة لطبيعة المقولات ومدى انسجامها مع النص القرآني ، ولعل أبرز تلك القواعد الدلالية ما يأتي :

المقولة الأولى (الكلمة خالية من المعنى خارج السياق).

هذه المقولة الدلالية تعني أنّ((الكلمة ليس لها معنى خارج السياق. وهذا يؤدي بنا إلى القول : إنّ الكلمة لا يتّضح معناها إلا خلال الاستعمال))[1] وقيل إنّ((مشايعي نظرية السياق ... كثيراً ما يرددون القول بأنّ الكلمات لا معنى لها على الاطلاق خارج مكانها من النظم))[2].

يبدأ الموقف النقدي لهذه المقولة التي لا ترى للكلمة معنى خارج السياق بالتعرّف على موقف ذوي الاختصاص في مجال الدلالة للكلمة المفردة ، فهم يرون أنّ اللفظ المستعمل مرة لا يُفهم مستقلاً وهو الحرف. ومرة يُفهم مستقلاً وهو الفعل إن دلّ على حدث و زمن معين. والاسم إن دلّ على معنى بلا زمن[3]. فتكون المعاني على قسمين((المعاني الاسمية مستقلة في أنفسها وقابلة لتصورها في ذاتها وإن

كانت في الوجود الخارجي محتاجة إلى غيرها كالأعراض ، وأما المعاني الحرفية فهي معانٍ غير مستقلة وغير قابلة للتصور إلا في ضمن مفهوم آخر))[4]. وبصورة مفصّلة إنّ((الكلام ضربان مهمل ومستعمل فالمهل لم يوضع للإفادة والمستعمل ما وضع للإفادة وذلك ضربان أحدهما ما يفيد معنى فيما وضع له وهي الألقاب كزيد وعمرو وما أشبهه والثاني ما يفيد معنى فيما وضع له ولغيره وذلك ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف على ما يسميه أهل النحو فالاسم كل كلمة دلت على معنى في نفسها مجرد عن زمان مخصوص كالرجل والفرس والحمار وغير ذلك والفعل كل كلمة دلت على معنى في نفسها مقترن بزمان كقولك ضرب ويقوم وما أشبهه والحرف ما لا يدل على معنى في نفسه ودل على معنى في غيره كمن وإلى وعلى وأمثاله))[5].

وتكون الرؤية في فهم العلاقة بين اللفظ ومعناه على قسمين :

1- الدلالة الذاتية النابعة من طبيعة اللفظ ، وليست مكتسبة من سبب خارجي ، فاللفظ يدلّ على معناه مباشرة وهذه الرؤية لم تُقبل ، ولم تصمد أمام النقد[6].

2- الدلالة الوضعية بأن((تكون العلاقات اللغوية بين اللفظ والمعنى نشأتْ في كل لغة على يد الشخص الأول أو الاشخاص الأوائل الذين استحدثوا تلك اللغة وتكلموا بها ، فإنّ هؤلاء خصصوا ألفاظاً معينة لمعانٍ خاصة ، فاكتسبت الألفاظ نتيجة لذلك التخصيص علاقة بتلك المعاني وأصبح كل لفظ يدلّ على معناه الخاص))[7].

وأضاف الصدر تعميقاً لحقيقة الرابطة الوضعية بين اللفظ ومعناه وحلّاً للإشكالية فيهما قائلاً((والصحيح في حلّ المشكلة أن علاقة السببية التي تقوم في اللغة بين اللفظ والمعنى توجد وفقاً لقانون عام من قوانين الذهن البشري . والقانون العام هو أن كل شيئين إذا اقترن تصور أحدهما مع تصور الآخر في ذهن الانسان مراراً عديدة ولو على سبيل الصدفة قامت بينهما علاقة وأصبح أحد التصورين سبباً لانتقال الذهن إلى تصور الآخر))[8].

في هذا التحليل اللغوي المعمّق تحتلّ الواقعية بحُلّة السببية منصةَ التتويج الفكري ؛ لتدفع بالأوهام والظنون بعيداً عن الساحة اللغوية بدلالتها ، فينتج يقين معرفي بحصول المعنى عند سماع لفظه الموضوع له بسبب الاقتران بينهما ، وهذا المعنى يحصل من لفظه خارج السياق ؛ لأنّ الرابطة الاقترانية السببية كفيلة بإخطار المعنى من لفظه من غير حاجة إلى السياق.

ويعود بنا البحث العقلي إلى الجذور التي تشكّل منها المعنى. فالمفهوم المستقل ينتزعه الذّهن من شيء له وجود مستقل بخلاف المعنى الحرفي((فالحق أنْ يقال إنّ المعنى الحرفي ما ينتزع من وجود في غيره ، واللفظ الدال عليه حرف. والمعنى الاسمي ما ينتزع عن وجود في نفسه والدالّ عليه اسم))[9].

وهذا الإيجاد للمفهوم ونشأته وحيداً مستقلاً عن الملاحظة لشيء آخر معه يؤكد احتفاظ اللفظ المستقل بمعناه وبقاء المعنى مفهوماً من لفظه المفرد خارج السياق. فإذا سمع شخص كلمة(ماء) خطرتْ في ذهنه صورة الماء من هذا اللفظ المفرد ؛ لعلمه بوضع لفظ الماء لمعناه المعروف. فإذا أحاط الذّهن بالوضع الأول للألفاظ فهم معانيها عند سماعها مفردةً من غير احتياج إلى سياق.

بل السياق نفسه يحتاج في تكوينه إلى فهم الدلالات المفردة الموضوعة ويكون((الغرض من وضع الألفاظ المفردة لمسمياتها تمكين الانسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة))[10]. وتكون المعاني المفردة سبيلاً لفهم السياق. والتراث التفسيري يؤمن باتّخاذ الدلالة المعجمية آلية من آليات فهم النص القرآني((لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان... فارساً في علم الإعراب))[11].

بل فهم الدلالات اللغوية من مقدمات عملية التفسير((ذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية . ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يُدرك معانيه))[12].

ويمكن أنْ يتحرّك الذهن نحو كشف كذب المقولة المتقدمة بطريقة القبول بفكرتها ثم فحصها في الاستعمال وذلك بأنْ تُؤخذ كلمة مهملة(لا معنى لها) وتستعمل في سياق. أ فيُعطيها هذا السياق معنى جديداً لم يكن موجوداً فيها أم لا ؟ فإذا أعطاها المعنى صحّتْ المقولة وبعكسه تكذبْ. ومن الكلمات غير المستعملة(دنح و نحد) أو (حدف ودفح)[13]. فإذا دخلتْ هذه الألفاظ في التجربة اللغوية فإنّها ستأخذ معاني من السياق اللغوي وإنْ كانت خالية من المعنى بناءً على نظرية إيجاد المعنى بوساطة السياق. فتكون السياقات على النحو الآتي :

دنح الرجل متأملاً. هذا نحدٌ جديدٌ. أعجبني الحدفُ. أين أجدُ دفحاً ؟

هل أخذت هذه الألفاظ معنىً من السياقات؟ وماذا نفهم من هذه الألفاظ عندما دخلتْ في هذه السياقات؟ الحقيقة أنّ التأمل فيها لا يكشف معنى ما إنْ آمنا بوجوده. فإما السياق عجز عن بيان معناها على فرض وجوده وإما أنّ السياق لم يعطها معنى أصلاً. و بالتأمل الدقيق واستحضار المعرفة السياقية الخارجية ينكشف أنّ هذه الكلمات خالية من المعنى. ويبقى فراغ دلالي في سياقاتها. لذلك يظهر جلياً أنّ السياق لا يتمتع بالقوة التي تُضفي على الألفاظ الخالية من المعنى معنى لم يكن موجوداً. فتبقى الألفاظ المهملة بلا معنى.

المقولة الثانية : (المعنى لا ينكشف إلا في السياق).

هذه قاعدة تحصر فهم المعنى بسياقه ولها أنصار((في الدراسة الدلالية اتجاه مميز يقتصر تحديد دلالة الكلمة فيه على السياق الذي ترد فيه))[14]. فتكون((للكلمات دائماً قيمة حضورية actuelle ، يعني أنه محدود باللحظة التي تستعمل فيها ، ومفرد يعني أنه خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل إياه))[15]. وهذا المعنى جديد ؛ لأنّ((الاستعمال يخلع على كل كلمة قيمة محددة دون أن يدخل في حسابه المعنى الذي كان لها في الماضي))[16]. والخلاصة أنّ المعنى((لا ينكشف إلاَّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة))[17] . وهذا يعني أن((معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق))[18]. فصارت هذه المقولة قاعدة دلالية يُعول عليها عند كثير من الباحثين في فهم النص القرآني((فالسياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في أحوال ورودها في التركيب ، فللكلمة من المعاني المتنوعة ما ليس في وسعنا أن نكتشف المعنى المراد إلاَّ بطريق ورودها في سياق معين))[19].

ويمكن أنْ يتحقّق الإجراء النقدي على أساس النتيجة المتقدّمة التي أظهرتْ أنْ الكلمة تحمل في ذاتها معنى ملازماً لا يغادرها ، وهذا المعنى يكون واضحاً عندما نعلم بعملية الوضع الأولى ، فإذا سمعنا بكلمة(كتاب) تجلّى في أذهاننا مفهوم الكتاب وحقيقته مستقلاً عن أي مفهوم آخر. وهذا الفهم المباشر للمعنى من سماع اللفظ يؤكد المبالغة في الرأي القائل بحصر فهم المعنى بالسياق. فيتسع نطاق الفهم الدلالي إلى دائرة الكلمة المفردة من غير استبعاد لفاعلية السياق في عملية الفهم. ولو أجري استدلال عقلي على الخطأ في هذه النظرية لكان على النحو الآتي :

المقدمة(1) المعنى لا ينكشف إلا في السياق.

المقدمة(2) مكة لفظ معناه واضح خارج السياق ؛ لأنّه موضوع لشيء واحد معروف.

النتيجة قد يكون اللفظ واضح الدلالة خارج سياق استعماله.

وهذه النتيجة دليل على إبطال كلية القاعدة المتقدّمة. ونلمح هذا الوضوح الدلالي في الألفاظ المتصوَّر من عملية الوضع الأول قد أدى بالحركة التفسيرية إلى تجاوز مناطقه النصيّة لعدم احتياجه إلى كشف مفاهيمي. واتجهتْ نحو مناطق ملتبسة ومحمّلة بالإشكال المعنوي أو العمق الدّلالي.

وأمثلته تتجلّى في كثرة الإحالة التفسيرية إلى الألفاظ الواضحة في التفسير كما في((﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾[الزمر :من الآية :5]أي لم يخلقهما باطلاً لغير شيء))[20]. إذ يرى المفسر أنّ لفظي(السماوات والأرض) دلالتهما واضحة ، فكانت إحالته عليهما بسبب الوضوح المتبادر منهما. والآلوسي عند تفسيره﴿وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[الزمر من الآية :5] يُحيل بالضمير على(الشمس والقمر) لوضحهما ، وينصّ على دلالة لفظ(سخّر) بقوله ((جعلهما منقادين لأمره عزّ وجلّ))[21].

ومن جناب آخر يمكن أنْ يستدلّ الذهن على الخلل المعرفي في القول بحصر الفهم الدلالي بالسياق. وذلك الخلل يكمن في تعميم هذه الفكرة على السياقات كلّها ، ولو كان أصحاب هذه المقولة موضوعيين في نظرهم لقاموا باستقراء سياقات النصوص الموجودة ، فهل تكون هذه السياقات كلّها واضحة المعنى ومفهومة لديهم ؟.

فإذا كانت كذلك صدقتْ مقولتهم. ولا ريب في أنّهم سيجدون ثمة نصاً واحداً – على أقلّ تقدير– يأبى سياقه الفهم ، و يستعصي بعض ألفاظه على الإدراك. والسياق بتحديده دلالات الألفاظ لا يُبقي لفظاً غامضاً أولاً. ويكون لكل لفظ فيه معنى واحد ثانياً. وهاتان النتيجتان لا تنطبقان على النص القرآني ؛ لأنّ فيه آيات مبهمة ومشكلة بدليل قوله تعالى﴿هوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(آل عمران من الآية :7). وهذه الآيات المتشابهات فيها ألفاظ يصعب فهم معناها المقصود. وهي حاضرة في السياق القرآني المُبين. فالسياق القرآني المبين لا يمنع من وجود دلالة مشكلة. والكثير من ألفاظ القرآن تحتمل معاني متعدّدة لعمق دلالاتها. وفي البحث القرآني يكمن أنْ نجد ذلك اللفظ الذي لا يقدر سياقه أنْ يكشفه دلالته ، والاستدلال على هذا المدّعى يكون بهذا الشكل:

المقدمة (1) المعنى لا ينكشف إلا في السياق.

المقدمة (2) الحروف المقطعة في سياق قرآني.

النتيجة الحروف المقطعة منكشفة المعنى. وهو خلاف الواقع التفسيري القرآني.

ومثال ذلك تفسير الحروف المقطعة في﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:1–2] نرى المفسرين اختلفوا في فهم(الم) اختلافاً كبيراً يكشف أنّ السياق قد لا يتحدّد اللفظ في ضوئه بمعنى واحد ؛ لذلك تجلّتْ معانٍ كثيرة لهذه الحروف ، منها : اسم من أسماء القرآن أو اسم للسورة أو فواتح قرآنية أو حروف مقطّعة من أسماء وأفعال لكل حرف معنىً أو سرّ من أسرار القرآن وغيرها من الدّلالات[22]. بل أبدى الجهد التفسيري في بعض متون المدونة التفسيرية عجزه عن فهم دلالة هذه الحروف في سياقاتها المنتشرة في السور القرآنية ودليل هذه النتيجة قولهم بأنّها سرّ إلهي وأنّها((من المتشابه الذي اختصّ الله سبحانه وتعالى بعلمه ... فقيل : إنّها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة أي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، وهي سرُّ القرآن ، فنحن نُؤمن بظاهرها ، ونكل العلم فيها إلى الله تعالى))[23]. وقد أدرك بعض الغربيين أن السياق ليس دائماً يكشف المعنى بل((في أنّ الغالب لدى الكلام الفعلي هو أنْ يوضّح السياق المعنى المراد))[24]. ومثال فشل السياق في تحديد المعنى في الجملة الآتية :

Nicole saw the people with binoculars.

رأتْ (نيكول) الناس بمنظار.

فتحتمل الجملة تفسيرين الأول يكون الناس حين رأتهم نيكول يحملون منظاراً. والتفسير الثاني أنها رأتهم مستعملة منظاراً[25].

القاعدة الثالثة (السياق يستبعد المعاني التاريخية للكلمة).

المقصود بالمعاني التاريخية هي المفاهيم الوضعية أو المستعملة في أوقات ماضية ، فعند استعمال الكلمات استعمالاً جديداً يعمل السياق الجديد على تنحي تلك المعاني القديمة ، ويُعطي الكلمات معاني جديدة ؛((لأنّ السِّياق لا يقبل التعدد والاحتمال ، وبذلك يخلص السِّياق الكلمة من دلالاتها الماضية التي تراكمت عبر التاريخ ويخلق لها قيمة حضورية جديدة))[26] وهذه الفكرة نفسها يؤمن بها البحث التفسيري في قوله((السياق علاقة الكلمة مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة وهو الي يعين قيمة الكلمة ويخلصها من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة. وتتراكم عليها))[27].

ينبغي أنْ نؤمن بالدلالة الأولى(الوضعية) للألفاظ المستعملة التي يحتفظ بها المعجم وهي التي تسمح بتداول الألفاظ في سياق معين. ولولا وجود الدلالة المعجمية لما أمكن للمتكلم أنْ يدخل الألفاظ في تراكيب مفيدة. تصوّر أنّ أمامك مجموعة من الكلمات التي تخلو من المعاني ، وأردتَ أنْ تعبّر بها عن رغبتك في النظر إلى الطبيعة. فأيّ الألفاظ تبدأ به ؟ وأيّها يأتي بعده حتى تكتمل سلسلة الملفوظ الدّال على رغبتك في مشاهدة الطبيعة ؟ يبدو أنّ الأمر يكون معقداً وغير ممكن القيام به. ولعل السبب هو أنّ الذهن يقوم باختيار الألفاظ من المعجم وهي تحمل المعاني ثم يرتبها تبعاً لترتيب المعاني في الذهن ، فالترتيب اللفظي للكلمات في الاستعمال ليس عشوائياً بل يخضع لضوابط وأسس عقلية ونفسية تكون معطياتها الدلالية مترابطة و مقبولة في عملية التداول.

إذاً الدلالة يجب أنْ تكون موجودة في اللفظ مذ لحظة استعماله. وهذا المعنى الأصيل قد يبقى في السياق من غير إجراء تغيير دلالي في محتواه. وستتضح هذه الحقيقة ببعض الكلمات التي جاء في القرآن محتفظة بدلالتها الأصلية والإحاطة بالمعنى المعجمي يكفي في فهم معناها في النص القرآني كما في الآيات الآتية :

﴿فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[آل عمران : من الآية 195] الذكر هو الرجل والأنثى هي المرأة[28]. وهذا المعنى هو المتداول في المعجم العربي[29]. ولم تحدث نقلة دلالية للمعنى في هذين اللفظين في السياق القرآني.

ومثال آخر يدلّ على بقاء المعنى المعجمي في الاستعمال القرآني ما جاء في تفسير كلمة(علا) في الآية﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص: 4] بمعنى ((طغى وجاوز الحدّ في الظلم والعسف))[30]. وقيل معناه((استكبر وتجبّر وتعظّم))[31]. وهو المعنى نفسه الذي ذكره المعجم مع الكلمة التي وردت في الآية((وأمّا العلوّ فالعظمة والتجبّر. يقولون : علا الملك في الأرض عُلُوّاً كبيراً قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾))[32].

فلو احتفظ السياق بالمعنى الأصلي لكلمة واحدة في النص القرآني لما صارت المقولة التي ترى أنّ السياق يحذف الدلالات القديمة ، ويجدّد معاني الكلمات قاعدةً يتوسّل بها في فهم المعنى القرآني. فكيف وقد وجد أكثر من كلمة محتفظة بمعناها الأول ؟!

ويمكن أنْ يستدلّ الباحث بدليل آخر على بطلان هذه القاعدة وهو أنّ القرآن يُعطي رؤية معرفية توحيدية تعبّر عن الله ومخلوقاته ، وأكثر هذه المخلوقات وضعتْ لها ألفاظ في العربية تحمل معاني تدلّ عليها ، والقرآن استعمل هذه الألفاظ نفسها بما فيها من معانٍ. ولو كانتْ ألفاظ القرآن كلّها تغيّرتْ معانيها ، فكيف تنطبق الدلالة القرآنية على المخلوقات ؟ ولما وجد معنى ثابت يعبّر عن هذه الموجودات من انسان وحيوان وأرض وسماء وماء وغيرها. وسيكون النص القرآني بالنتيجة كتاباً يعبّر عن أشياء لم نعرفها . ولم نسمع بها ؛ لأنّ معانيه بناء على أساس(استبعاد المعنى التاريخي في السياق) لا تكون هي المعاني المألوفة عندنا ، ولا صلة لها بالخالق ومخلوقاته. فليس كلّ سياق يتجاوز

الدلالة المألوفة للكلمات ، فهناك سياقات تبقى فيها الدلالة ثابتة ؛ لأنّ المتكلّم يُريد الدلالة الأصلية. و أنّ دلالة بعض الألفاظ ثابتة مثل الألفاظ الدالة على الحقائق الثابتة كمفهوم الله وخاتم الأنبياء والعدل والانسان والقرآن وغيرها. أو تحتفظ الألفاظ بمعناها المعجمي وإنْ تطوّرتْ دلالتها ، فهذا الأمر واضح في الألفاظ التي دخلتْ في دائرة المجاز والاستعارة أو الكناية ، فهي تنقل للمتلقي دلالتها الأولى مع الدلالة الجديدة لوجود علاقة دلالية معينة بين المعنيين .

والاستدلال الثالث يتمحور حول معرفة التطور الدلالي أي أنّ السياقات تُحدث للمعنى تطورات دلالية أنتجها الاستعمال الجديد. ولكن وجود المعنى في الألفاظ قبل الاستعمال أمر ضروري للبدء بالكلام المفيد وتأليف العبارات التامة. وهذه المعاني بعد الاستعمال قد تتعرض للتطورات الجديدة من غير أنْ تفقد دلالتها الأصلية كليّاً أو تفنى بل تبقى حاضرة مع الدلالة الجديدة[33].

ولبيان هذا الواقع الدلالي يستحضر البحث دلالة بعض الكلمات التي أخذت دلالات جديدة مع وجود المعاني الوضعية أيضاً ، فمن ذلك ما يأتي:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]

نجد كلمة(كرسيه) بإضافتها إلى الله تعالى دلّتْ على معنى يناسب الذات الإلهية التي هي ليستْ بجسم. وهي قرينة عقلية تجعل المعنى المعجمي غير مناسب في هذا السياق. فيكون معنى كرسيه علمه أو قدرته[34]. وهذا المعنى المناسب لله سبحانه يلتقي بالمعنى الأصلي للكرسي إذ((استعملت الكلمة في القرآن الكريم ، بناء على هذا المعنى المتعارف المعلوم المعروف. فالكرسيّ حقيقة ما يستقرّ عليه

شخص ، وأمّا خصوصيّات مادّته وشكله وسائر جزئيّاته : فغير مأخوذة في مفهومه ، وتختلف باختلاف الموارد والأشخاص والاقتضاءات العرفيّة. فقد يعتمل من فضّة أو ذهب أو ممّا يقوّم بأضعاف قيمتهما ، ويصنع صغيراً يختصّ برجل واحد وكبيراً لجماعة ... فالكرسي المناسب لله المتعال : لا بدّ وأن يكون من جهة العظمة والسعة والارتفاع بمقدار يحيط جميع السماوات والأرض وما بينهما من خلقه ، حتّى يشرف عليهم ويحيط بهم ويكون الخلق جميعا تحت سلطته وقيّوميّته وحكمه وأمره))[35]. فتكون العلاقة الدلالية باقية بين المعنى الجديد والمعنى القديم لأنّ((الكرسي معروف وسمي به لتراكم بعض أجزائه بالصناعة على بعض ، وربما كني بالكرسي عن الملك. فيقال : كرسي الملك ، ويراد منطقة نفوذه ومتسع قدرته. وكيف كان فالجمل السابقة على هذه الجملة أعني قوله : له ما في السماوات وما في الأرض " الخ " ، تفيد أنّ المراد بسعة الكرسي إحاطة مقام السلطنة الإلهية ، فيتعين للكرسي من المعنى : أنّه المقام الربوبي الذي يقوم به ما في السماوات والأرض من حيث إنها مملوكة مدبرة معلومة ، فهو من مراتب العلم ، ويتعين للسعة من المعنى : انها حفظ كل شيء مما في السماوات والأرض بذاته وآثاره ، ولذلك ذيله بقوله : ولا يؤده حفظهما))[36].

ومن الاستعمال الجديد للكلمة مع وجود علاقة بين المعنى الجديد والمعنى المعجمي هو استعمال (النور) في قوله تعالى﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور : من الآية 35] والمعنى السياق ((هادي من في السماوات والأرض))[37]. والعلاقة موجودة بين النور والهادي وهي الشبه إذ((شبه هداه ولطفه الذي يصيبه لقوم يهتدون ، وآخرين يضلون معه بالنور الذي هو أبداً موجود في الليل وأثناء الظلام ... إذ كان الهدى يكون كالشمس التي لا تبقى معها ظلمة . فمعنى الآية ؛ أنه تعالى جعل هداه في الكفر كالنور في الظلام ، فيهتدي قوم ويضل قوم آخرون))[38]. ولولا هذه العلاقة(الشبه) بين المعنى الأول والمعنى الثاني لما حدث هذا الاستعمال.

والنتيجة الأخطر التي تتولّد من استبعاد المعنى الأصيل هي الدلالة النسبية في فهم الألفاظ ، فإنّ أي لفظ يدخل في سياق جديد تنعدم دلالاته السابقة ، ويحمل معنى جديداً وتطبيق هذه النتيجة على ألفاظ النص القرآني يجعل دلالاتها غير ثابتة بتعدّد سياقاتها. فلو أخذنا لفظ (الله) في سياقين لصار له معنيان مختلفان لاختلاف سياقيهما. وإذا كانت ألفاظ القرآن كلّها متعدّدة المعنى فإنّنا لا نحصل على دلالة ثابتة في القرآن. وهذا يؤدي إلى تغيير العقيدة والأحكام الشرعية والدين كلّه.

والرؤية الموضوعية تتطلب من المفسّر فحص الدلالة في سياقها بدقة مراعياً الدلالات كلّها ، ولا تستبعد دلالة معينة من غير دليل إذ((في هذا إلغاء لتفرّد المعنى المعجمي الأصلي للكلمة المفردة بالدلالة ، وتقليل لأهميته الانفرادية ، ويمكن القول إنّ لكلّ كلمة معنىً معجمياً ، يُمثّل معناها الحقيقي ومعنىً تاريخياً تكتسبه بفعل الاستعمال العُرفي ، ومعنىً ظرفياً آنياً تكتسبه في سياقات خاصة وظروف محددة يعيشها المتكلم))[39].

المقولة الرابعة(السياق يحدّد معنى واحداً للكلمة).

الذين يؤمنون بهذه القاعدة يرون وجوب تحقق معنى واحد في السياق((يجب أنْ نعلم أنّها معاني محتملة وأنّ أحد هذه المعاني يتحقّق ضمن سياق معين ... تنهل كلّ كلمة معناها من السياق الذي ترتبط به))[40]. وهو معنى وحيد يتجلى من النص((إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص))[41]. وقد لا يوجب بعضهم وجود المعنى الواحد. ويرى أنّ وحدة المعنى هي المألوف في الاستعمال((كثير من كلماتنا له أكثر من معنى. غير أنّ المألوف هو استعمال معنى واحد من هذه المعاني في السياق المعيّن))[42]. وهذا المعنى يتصف بصفة الثبات((وهناك معنى آخر ناتج عن وضع الكلمة في السياق، وهو المعنى السياقي، ومن سماته انه معنى محدد وثابت))[43].

إنّ هذه القاعدة قد تنطبق على بعض الاستعمالات في القرآن ، وليس على الاستعمالات كلّها وثمة سياقات قرآنية مكتنزة بالمعاني. فالمألوف – في رؤية هؤلاء – لا يكون قاعدة تنطبق على الكلمات كلّها في السياقات جميعها . وإذا طبقنا القاعدة على القرآن نجد أنّ له سياقاً متعدد الدلالة ، ولا تحيط به هذه القاعدة ، فيأتي السياق بمعانٍ كثيرة لا تتناقض فيما بينها ، ومن الكلمات المشحونة بالمعاني(الكوثر) في قوله تعالى﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:1] فهي تدلّ على معانٍ كثيرة منها: الشيء الذي من شأنه الكثرة ، و الخير الكثير، وحوض النبي (صلى الله عليه وآله) الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة[44]. والخير كلّه[45]. والنبوة والقرآن[46]. ونور في قلب الرسول دلّه على الله ، وقطعه عمّا سواه ، والشفاعة ، و معجزات أكثرت بها أهل الإجابة لدعوتك ، وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و الفقه في الدين ، و الصلوات الخمس[47]. وكثرة الأصحاب والأتباع والتوحيد[48]. وقد بيّن المفسرون عدم تناقض هذه المعاني قال سعيد بن جبير((النهر الذي في الجنة ، من الخير الذي أعطاه الله إياه))[49]. فالنهر واحد من الخير الكثير ؛ لأنّ((الكوثر مطلق الخير الكثير من فضله ماديّا دنيويّا أو معنويّا روحانيّا ، ولا اختصاص فيه بمعنى مخصوص))[50].

إنّ هذا السياق أعطى المفردة ما يلائم صيغتها الصرفية من المعاني المتعدّدة خلافاً للقاعدة المتداولة عند بعض علماء الدلالة والباحثين في القرآن ممّن تأثروا بهم. ويمكن أنْ ننتخب أمثلة كثيرة من القرآن تخرج في دلالاتها عن المقولة الغربية المتقدّمة ، ومنها ما أبداه الجهد التفسيري من ثروة دلالية في الآية ﴿وَلسوف يُعطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[الضحى :5]

فالمتون التفسيرية تخبرنا بكثافة الدلالة فيها إذ العطاء الإلهي الفيّاض يجعل المعنى شاملاً للعطاء الدنيوي بالنصر على أعدائه ونشر الاسلام و العطاء الأخروي الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى[51]

و يخالف هذه المقولة الغربية أيضاً بعض السياقات القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى ؛ لأنّ اللفظ ممّا يدخل في التضاد اللغوي ؛ لذلك أثبتوا التضاد الدلالي في الممارسة التفسيرية لهذه الآيات ، ومنها ﴿والليل إذا عَسْعَسَ﴾ [التكوير :17] وذكروا معنيين متضادين للفعل(عسعس) وهما أدبر وأقبل[52] وهذا السياق خير دليل قرآني على عدم مناسبة المقولة أعلاه لهذه السياقات القرآنية وغيرها ، فبذلك لا تكون قاعدة كلية تصلح في تحديد معنى واحد لكل سياق قرآني.

وتتضاد هذه المقولة مع عمق القرآن الكريم. فالقرآن عطاؤه المعنوي لا يقف . ودلالته عميقة لا تجفّ((لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه ؛ لأنّه كلام الله ، وكلامه صفته . وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه))[53] وأفضل دليل معلوم على ديمومة العطاء المعرفي القرآني استمرار حركة التفسير من زمن نزول النص حتى هذا الوقت ، وسيظل يتدفق دلالة ، ويتجدّد فهماً أبداً .

المقولة الخامسة (النص لقرآني يُفهم من بنيته اللغوية فقط بالمنهج الألسني)

تبنّى هذه المقولة بعض الباحثين في فهم القرآن الكريم الذين يرون أنّه ((عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات أو المنطوقات المكتوبة باللغة العربية ... لا يمكن أنْ نصل إليها إلا عن طريق النص))[54] وتكون القراءة الألسنية ذات((قيمة لا تضاهى من حيث التقشف والدقة والصرامة ، فهي تجبرنا على أنْ نظل محصورين داخل الحدود الصارمة للإمكانيات التعبيرية للغة مع استبعاد كلّ المفترضات الصريحة والضمنية ... التي تضفيها أو تخلعها كلّ قراءة على النص))[55] وهذه المقولة تبنتها البنيوية التي عزلت النص عن مؤلفه ، فيكون ((الملفوظ هو الذي يشكل المضمون ضمن وحدات وظيفية))[56]

لا ريبَ في أنّ النص القرآني يتمتع بوجود بنية متناسقة وهي غنية بالفهم المتجدّد لوجود علاقات كثيرة وعميقة بين مكوناته النصية حتى أنّ التلقي الحديث أعجب كثيراً بالبنية الفريدة للقرآن وبحث في أعماق التشابك المتعدّد بين نصوصه. فالمفاهيم القرآنية ((يتواقف بعضها على بعض بإحكام ، وتستمد معانيها من نظام العلاقات المحكم بينها ، على وجه الدقة ... إنها تشكل من أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو صغيرة ، ثم تترابط هذه المجموعات بأشكال متنوعة . وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعاً كلياً منظماً ، وشبكة غاية في التعقيد والتركيب من التداعيات المفهومية))[56]

ولكن هذه البنية اللغوية للقرآن الكريم مرتبطة بسياق خارجي يُحيل عليه النص القرآني ويرتبط به ، فيجب أنْ نكتشف العلاقة الرابطة بينهما ونبيّن أثرها في التفسير والعقل يقول : إنّ المعنى لا يمكن أنّ نحصل عليه إلا

من ملاحظة شيء واقعي ينتزع الذهن منه المفهوم . ثم تُوضع الألفاظ لتلك المفاهيم والمعاني المنتزعة من الأشياء الخارجية . فكيف نفهم المعنى من لفظه ونترك السبب الأصيل في وجوده وهو الواقع

الخارجي ؟! والأمر الآخر أنّ الاقتصار على المنهج اللساني ، وآلياته اللغوية يكشف بعداً واحداً للنص وهو الدلالة اللغوية الظاهرة ، فيضيّق اتساع الدلالة في ضوء بنيته اللغوية . وإنّ الآليات الألسنية تحتاج إلى تأصيل دلالي من المدونة الدلالية العربية ؛ لأنّ القرآن نصّ عربي يحمل اللغة وسماتها الصوتية والدلالية . والاتكاء على الجانب اللساني في فهم النص يجعل النص نفسه مغلقاً على ذاته ، وهذا المنهج يتضاد مع القرآن الذي يُعلن بصراحة وبكثافة ارتباطه بمبدعه وهو ينقل للمتلقي صورة دلالية عن ذلك المبدع وصفاته ، وارتباط الموجودات به في نظام وجودي محكم جميل كقوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ*اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ*وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد : 1-4]

فإذا فصلنا القرآن الكريم عمّن أنزله وعن واقعه الخارجي كنا أحراراً في إنتاج دلالة من لغته وهذه الدلالة المنتجة تأسّس على ارتباطنا بسياقه اللغوي وعلى فهمنا القاصر ، فتتأثر المعطيات الدلالية والنتائج القرائية بحدود وعينا ومعارفنا المحدودة . وقد تنحرف عن المسار السليم في عملية الفهم الذي تتشابك فيه آليات الفهم(اللغة والنقل والعقل والبصيرة) بجميع سياقات النص في إنتاج قراءة تتقارب مع حقيقة النص القرآني التي يقصدها مبدعه الأول جلّ شأنه .

الخاتمة

أقبل بعض الباحثين في الدرس الدلالي القرآني على علم الدلالة الغربي يتبنّون بعض أفكاره ونظرياته وقواعده ؛ ليجعلوها أسساً متينةً ومسلماتٍ يؤمنون بها في تقوية أبحاثهم ودراساتهم ؛ ولتكون توجهاتهم حداثوية متطوّرة مع انجذابهم الشديد إلى الفكر الدلالي الغربي وقبوله من غير فحص وتفكيك ونقد.

اختار البحث أربع مقولات غربية تشكّل قواعد في الدلالة وفهمها وتفسيرها وهي أكثر تداولاً عند الباحثين العرب في بعض الجامعات العربية ، والمقولات الأربع المختارة هي :

1- الكلمة خالية من المعنى خارج السياق.

2- المعنى لا ينكشف إلا في السياق.

3- السياق يستبعد المعاني التاريخية للكلمة.

4- السياق يحدّد معنى واحداً للكلمة.

5- فهم النص القرآني من بنيته اللغوية فقط .

لم يقبل البحث هذه المقولات ، فبدأ بنقلها من مصادرها الغربية ، وراقب انتقالها إلى البحث الدلالي في النص القرآني عند الباحثين العرب. ورصد تبنّيهم لها ثم قام بتفكيكها دلالياً بأسلوب واضح ، وأجرى عليها نقداً موجَهاً إلى شموليتها وقاعدتها الكليّة ، فأثبتَ بالأدلة التي أنتجها البحث من المعطيات اللغوية والقرآنية . وشكّلها على شكل برهان استدلالي عدمَ صحة هذه القواعد في جميع موارد التفسير القرآني.

المقولة الأولى : أثبت البحث خطأ هذه المقولة جملة وتفصيلاً ، ولا يمكن قبولها لمخالفتها الصريحة لحقيقة الوضع الأول. فضلاً عن أنّ قبول هذه المقولة يخلق إشكالاً كبيراً وهو أنّ الكلام لا يمكن أنْ يتكوّن إذا كانت الألفاظ خالية من المعنى خارج السياق.

المقولة الثانية : تواجه هذه المقولة إشكالان هما : الأول أنّ اللفظ قد ينكشف معناه خارج السياق بعد أنْ ثبتَ وجود المعنى خارج السياق.والثاني أنّ بعض السياقات لا تكشف المعنى ؛ لأنّ السياق نفسه مشكل وغامض .

المقولة الثالثة : تصاب هذه المقولة بنقد قوي يتمثّل بأنّ المعنى الأصلي في النص قد يبقى متداولاً أو ينتقل إلى دلالة جديدة مع بقاء ملامح المعنى الأول لوجود علاقات دلالية بين المعنى الجديد والقديم. والأخذ بهذه المقولة قاعدةً دلاليةً يُنتج فهماً نسبياً للنص القرآني يتقاطع مع الحقائق القرآنية .

المقولة الرابعة : لا تصلح قاعدةً كليةً تندرج تحتها النصوص القرآنية كلّها ، فقد يتحدّد معنى اللفظ في سياق ما. ولكن ثمة سياقات تنفتح فيها الدلالة على أكثر من معنى لغزارة الدلالة وعمق المعنى القرآني فضلاً عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى ؛ لأنه من الأضداد في اللغة ؛ لذلك تُذكر هذه المعاني في سياقها ؛ لأنّ بعض المفسرين يتوسلون باللغة ودلالاتها في فهم النص القرآني.

المقولة الخامسة : لا تكون قاعدة ثابتة لفهم القرآن الكريم ؛ لأنّها تناقض العقل وطريقة تكوينه للمعاني أولاً . فالعقل يأخذ المعنى بعد أنْ يرتبط بالأشياء الخارجية عن طريق الحواس ، ويضع للمعاني التي حصل عليها من إدراك الواقع الخارجي ألفاظاً ، فالألفاظ تحيل على المعاني والمعاني تحيل على مسمياتها الخارجية . فكيف نفهم المعاني عند التركيز على ألفاظها ونقطع صلتها الأولى بسياقها الخارجي ؟ وتناقض البنية اللغوية للقرآن ثانياً . فأصحاب هذه الرؤية يريدون فهم القرآن بوساطة لغته منفصلة عمّا سواها. وهذه البنية اللغوية للقرآن تنقض

مرادهم ؛ لأنّها بنية محيلة على مبدعها وعلى سياقها الخارجي . والاقتصار على البنية اللغوية فقط يجعل القراءة وحيدة الجانب والنتائج تكون محدودة بحدود اللغة .

يدعو الباحث إلى دراسة الفكر اللغوي الغربي ولا سيما الدراسات الدلالية دراسة عقلية نقدية بعد ترجمتها ترجمة أمينة تقوم بها لجنة متخصصة من أساتذة الجامعات الأكفاء ، ثم تعرض هذه الترجمات على لجنة من الأساتذة والمفكرين في الفلسفة لبيان الأصول المعرفية والفلسفات التي تأثرتْ بها هذه الدراسات الدلالية (علم الدلالة الغربي). وجعلتها أصولاً لها كي تنتج مقولاتها وقواعدها الدلالية . ثم يأتي الباحثون العرب في الدلالة القرآنية ؛ ليفهموا النتائج التي توصل إليها هؤلاء ، فيدرسوا معطياتهم بوعي بعد الاطلاع الدقيق على التراث التفسيري . وكذلك البحث الدلالي عند علماء الأصول مع الوعي المباشر لخصائص الدلالة القرآنية في القرآن نفسه عن طريق التفاعل الدائم به فكراً وعملاً ، ثم يصح لهم أنْ ينتخبوا أيّ مقولة دلالية . مهما كان مصدرها . تنسجم مع الفكر القرآني والرؤية القرآنية ؛ لتكون آلية صحيحة لفهم النص القرآني.

الهوامش:

1- علم الدلالة . كلود جرمان :44.

2- دور الكلمة في اللغة . ستيفن أولمان : .68

3- ينظر : معارج الأصول . جعفر بن الحسن الحلي :49.

4- أصول الفقه . محمد رضا المظفر:15/1.

5- اللمع في أصول الفقه . إبراهيم بن علي الشيرازي:57. والأحكام . الرازي :15/1-16.

6- ينظر : دروس تمهيدية في علم الأصول ، المعالم الجديدة . محمد باقر الصدر :113.

7- المصدر نفسه :114

8- المصدر نفسه :.114

9- حاشية الكفاية . محمد حسين الطباطبائي :27/1.

10- المحصول . الرازي :199/1. والمتكلّم يجب أن يعرف معاني الألفاظ قبل أن يستعملها في السياق ، فالمعنى واضح باستقلاله عن السياق ، ويمكن أن يفهم خارج السياق. ينظر : علم الدلالة بالمر :.57

11- الكشاف . الزمخشري :16/1.

12- المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهاني :.6

13- ينظر : كتاب العين . الخليل بن أحمد :3/184-185(باب الحاء والدال والنون. وباب الحاء والدال والفاء).

14- مدخل إلى علم الدلالة – فرانك بالمر :167.

15- اللغة – فندريس : 226.

16- المصدر نفسه :.227

17- علم الدلالة – د. أحمد مختار: 68 . وظهرت المقولة في البحث الدلالي في نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(ت885هـ)أطروحة دكتوراه سليم علي القريشي كلية التربية ، الجامعة المستنصرية : 172 .

18- اللغة والمعنى والسياق – جون لاينز : 215 .

19- دَقائِقُ الفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ في البَيَانِ القُرآنِيّ :. أطروحة محمد ياس خضر الدوري كلية التربية ﴿ ابن رشد ﴾ في جامعة بغداد 1426 هـ / 2005 م. وينظر : الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم – محمد جعفر محيسن:10 /2002 جامعة القادسية كلية الآداب ، والبحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن – جامعة الجزائر كلية العلوم الاسلامية رسالة ماجستير 2006/1427 م عمر حدوارة : 54 .

20- فتح القدير . الشوكاني : 4/449.

21- روح المعاني . الآلوسي :23/239.

22- ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . الطبري:1/205-209.

23 – تفسير حدائق الروح والريحان . محمد الأمين بن عبد الله الشافعي :1/101-102.

24- علم الدلالة . وليم أوجرادى ترجمة د. عبد الكريم محمد حسن مجلة علوم اللغة مجلد(3) 2006 م : ص 206.

25- المصدر نفسه :215.

26- اللغة ، فندريس : 43 .

27- البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن : 54 . وينظر : البحث الدلالي في تفسير الأمثل . رسالة ماجستير . نعمة دهش فرحان الطائي :54.

28- ينظر : مجمع البيان . الطبرسي :2/.477

29- ينظر : مجمل اللغة . أحمد بن فارس :360 والقاموس المحيط . الفيروز آبادي :396 و 164 .

30- الكشاف :4/.481

31- تفسير البغوي :6/.189

32- معجم مقاييس اللغة:4/.113

33- ينظر : دلالة الألفاظ . د . إبراهيم أنيس :135-136.

34- ينظر : روح المعاني :3/.9

35- التحقيق في كلمات القرآن الكريم . حسن المصطفوي :43/10.

36- الميزان في تفسير القرآن . محمد حسين الطباطائي :2/.336

37- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 180/18.

38- البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي :5/.130

39- البحث الدلالي في التبيان : 288.

40- علم الدلالة بييرجيرو :56. والدلالة السياقية عند المفسرين حتى منتصف القرن السادس الهجري :**168.** رسالة ماجستير . بشير سعيد سهر محمد المنصوري كلية التربية – جامعة البصرة *1425هـ/ 2004* م. والمنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير:21. إذ يقول((تتجلى وظيفة السياق في تحديد إحدى الدلالات المحتملة)).

41- مفاتيح الألسنية . جورج مونان : 124-125 .

42- دور الكلمة في اللغة :72. وينظر : الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني:5. رسالة ماجستير . نبراس حسين . كلية التربية للبنات في جامعة بغداد .

43- الدلالة السياقية عند المفسرين حتى منتصف القرن السادس الهجري . بشير سعيد سهر محمد المنصور كلية التربية – جامعة البصرة رسالة ماجستير:28 .

44- ينظر : التبيان في تفسير القرآن . الطوسي :418./10

45- تفسير القرآن العظيم . ابن أبي حاتم :3470/10.

46- ينظر : المصدر نفسه :3470./10

47- ينظر : تفسير ابن عطية(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي :530/5.

48- ينظر :المصدر نفسه :529/5.

49- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :416/30.

50- التحقيق في كلمات القرآن :55./12

51- ينظر : الكشاف : 391./6

52- المصدر نفسه : 325/6. وتفسير أبي السعود : 5 / 489.

53- البرهان في علوم القرآن . الزركشي : 23./1

54- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . محمد أركون :.113

55- المصدر نفسه :.112

56- من البنيوية إلى الشعرية . رولان بارت : 23 .

57- الله والإنسان في القرآن (علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم) – توشيهيوكيو إيزوتسو :34.

المصادر والمراجع:

* أصول الفقه . محمد رضا المظفر . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط 2 . بيروت . لبنان ، 1410 هـ / 1990 م .

* الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني – دراسة دلالية رسالة ماجستير _ نبراس حسين مهاوش ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد – 1425 هـ /2005 م.

* الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم . توشيهيكو إيزو تسو. ترجمة وتقديم د . هلال محمد الجهاد ، المنظمة العربية للترجمة .ط 1 . بيروت . لبنان ، 2007 م .

* البحث الدلالي عند الراغب الأصفهاني من خلال كتابه المفردات في غريب القرآن مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية – عمر حداورة. جامعة الجزائر – كلية العلوم الاسلامية. 1427 هـ /2006 م.

* البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت 460 هـ) أطروحة دكتوراه – ابتهال كاصد ياسر الزيدي. جامعة بغداد – كلية التربية للبنات.1424هـ /2004م.

* البحث الدلالي في تفسير الأمثل للشيرازي . رسالة ماجستير . نعمة دهش فرحان الطائي كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد . 2007 م .

* البحث الدلالي في نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(ت885 هـ)أطروحة دكتوراه . سليم علي القريشي كلية التربية الجامعة المستنصرية 1425 هـ / 2004 م .

- البرهان في علوم القرآن . محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان ، 1427 هـ / 2006 م .

* التبيان في تفسير القرآن – أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460 هـ) مطابع مكتب الاعلام الاسلامي. ط 1 تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العرب 1209 هـ .

* التحقيق في كلمات القرآن الكريم – حسن المصطفوي .ط 1،مؤسسة الطباعة والنشر ، إيران . 1417 هـ

* تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم . أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 951 هـ) دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان (د : ت) .

* تفسير البحر المحيط . محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان(ت745ه) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان– 1413 ه / 1993 م.

* تفسير البغوي (معالم التنزيل). أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت516 ه) حقّقه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون. دار طيبة للنشر والتوزيع . الرياض ، 1409ه .

* تفسير ابن عطية(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي. تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق وآخرين. ط 2 ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دار الخير قطر – 1428 ه / 2007 م.

* تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن . محمد الأمين بن عبد الله الشافعي . إشراف ومراجعة د . هاشم محمد علي ، دار طوق النجاة . ط 1 . المملكة العربية السعودية . 1421ه / 2001 م .

* تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) والصحابة والتابعين– عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم(ت 327 ه) . تحقيق أسعد محمد الطيّب دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان– 1424 ه / 2003 م.

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن –أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 ه) قدّم له الشيخ خليل الميس. ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415 ه / 1995 م.

* حاشية الكفاية . محمد حسين الطباطبائي . قم . إيران ، 1367 ه .

* دروس تمهيدية في علم الأصول ، المعالم الجديدة للأصول . محمد باقر الصدر . مطبعة النعمان ط 2– النجف الأشرف . العراق ، ١٣٩٥ ه .

* دَقائِقُ الفُرُوقِ اللُّغَوِيَّةِ في البَيَانِ القُرآنِيّ :▯▯. أطروحة دكتوراه . محمد ياس خضر الدوري كلية التربية (ابن رشد) في جامعة بغداد 1426 ه / 2005 م.

* دلالة الألفاظ . د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية . ط 5 . مصر ، 1984 م .

* الدلالة السياقية عند المفسرين حتى منتصف القرن السادس الهجري ، رسالة ماجستير . بشير سعيد سهر محمد المنصور كلية التربية – جامعة البصرة . 1425 ه / 2004 م .

* الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه – محمد جعفر محيسن ، جامعة القادسية . كلية الآداب ، 2002 م .

* دور الكلمة في اللغة . ستيفن أولمان . ترجمه وقدّم له وعلّق عليه د . كمال بشر . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 12 . القاهرة . مصر ، 1997 م .

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين محمود الآلوسي (ت1270ه) قابلها على المطبوعة المنيرية وعلّق عليها محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام . دار إحياء التراث العربي ط 1، بيروت . لبنان ، 1421 ه / 2000 م .

* علم الدلالة . د .أحمد مختار عمر . عالم الكتب ، ط 5 ، القاهرة . مصر 1998 م .

* علم الدلالة . ف . بالمر . ترجمة مجيد عبد الحميد الماشطة . الجامعة المستنصرية ، بغداد . العراق ، 1985 م .

* علم الدلالة . وليم أوجرادى ترجمة د.عبد الكريم محمد حسن مجلة علوم اللغة مجلد(3) 2006 م

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي بن محمد الشوكاني

(ت 1250 ه) دار ابن كثير ، ط 1 . دمشق . سورية ، 1414 ه .

* القاموس المحيط . محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 ه) تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي . مؤسسة الرسالة ، ط 8 . بيروت . لبنان. 1426 ه / 2005 م

* القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني . محمد أركون . ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار الطليعة . بيروت . لبنان ، 2005 م .

* كتاب العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه) تحقيق د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي . ، دار مكتبة الهلال. ط 1 (د : ت) .

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت 538 ه) تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط1 . الرياض ، 1418ه/1998 م.

* اللغة . فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1950 م .

* اللغة والمعنى والسياق . جون لاينز . ترجمة د . عباس صادق الوهاب ، مراجعة د . يوئيل عزيز . دار الشؤون الثقافية . ط 1 ، بغداد . العراق . 1987 م .

* اللمع في أصول الفقه . إبراهيم بن علي الشيرازي (ت 476 هـ) تحقيق محيي الدين ديب ويوسف علي بديوي . دار ابن كثير ، ط 1 ، دمشق . سورية . 1416 هـ / 1995 م .

* مجمع البيان في تفسير القران . أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت 548 هـ) ، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له محسن الأمين العاملي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ط 1 بيروت – لبنان ، 1415 هـ – 1995 م .

مجمل اللغة . أحمد بن فارس (ت 395 هـ) دراسة و تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة . ط 2 ، بيروت . لبنان ، 1406 هـ /1986 م .

* المحصول في علم أصول الفقه . فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت 606 هـ) دراسة وتحقيق د . طه جابر فياض العلواني . مؤسسة الرسالة ، ط 2 . بيروت . لبنان . 1412 هـ – 1992 م .

* مدخل إلى علم الدلالة . فرانك بالمر ،تعريب:د.خالد محمود جمعة،مكتبة دار العروبة الكويت 1997 م .

* معارج الأصول . نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن الهذلي المحقّق الحلي(ت 676 هـ) إعداد محمد حسين الرضوي. ط1 مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) للطباعة والنشر ، إيران– 1403 هـ.

* معجم مقاييس اللغة . أحمد بن فارس (ت 395 هـ) تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . مصر ، 1399 هـ / 1979 م .

* مفاتيح الألسنية . جورج مونان . تعريب الطيب البكوش ، منشورات سعيدان . تونس . 1994 م

* المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني(502 هـ) ضبط هيثم طعيمي . دار إحياء التراث العربي ، ط 1. بيروت – لبنان ، 1428 هـ – 2008 م .

* من البنيوية إلى الشعرية . رولان بارت وجيرار جينيت . ترجمة د .غسان السيد ، دار نينوى ط1 ، دمشق . سورية . 2001 م .

* المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية) إعداد د. عادل رشاد غنيم ، المملكة العربية السعودية.مركز تفسير للدراسات القرآنية،1434 هـ /2013 م.

* الميزان في تفسير القرآن . محمد حسين الطباطبائي . صحّحه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ط 1 بيروت . لبنان ، 1417 هـ / 1997 م .